بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، لا إله إلا هو وحده، وصلى الله على نبينا محمّد، وعلى آله صحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد..

فصاحب الإيمان الرفيع، والقلب السليم، والصدر المنشرح، لا بد أن يكون لسانه يغرف ما في قلبه من طيبٍ، وجميل عبارة، وحُلو كلامٍ، فالمؤمن طيب القلب، طيب اللسان، جميلٌ في كلامه، لطيفٌ في عباراته، لذلك أخبر النبي ﷺ فقال: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[1]، وتعلمون جميعًا خطر اللسان وأنه كما قال ﷺ: «وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»[2]، أسهل عضو يتحرك، وأكثر عضو يورد الإنسان المهالك، لذلك لما مر النبي ﷺ على قبرين فقال: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ مِنْ كَبِيرٍ-يعني ما يعذبان في شيءٍ كبيرٍ من حيث أنه سهل أنه يترك ليس فيه كبير مشقة-، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ»[3]، وقال ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»[4]، فالإيمان بالله وبوعده وما عنده يجعل الإنسان قادر السيطرة على لسانه، ماذا يقول، ومتى يتكلم، وما هي الفائدة من ذلك الكلام، فالإنسان لسانه نصفه، فنصف الإنسان عقله، والنصف الآخر لسانه، وهذا اللسان له أثر على الإنسان في نفسه وعلى مجتمعه،

(١) رواه البخاري (٦٤٨٤)، ومسلم (٤١).
(٢) رواه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وصححه الألباني.
(٣) رواه البخاري (١٣٧٨)، ومسلم (٢٩٢).
(٤) (رواه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).

إن كان كلامه طيبًا أو كان كلامه سيئًا، وقد ذمّ النبي ﷺ سيئ الكلام فقال: «سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ»[5]، وقال ﷺ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ»[6]، المؤمن لسانه حلو، لذلك النبي ﷺ عندما كان اليهود يقولون له: السام عليك، يعني: اللعنة والموت عليك، فكان النبي ﷺ حتى في هذه الإساءة يرد ردًّا فيه جواب مفحم لهم مع جميل منطوق، فكان يقول: وعليكم، فكانت عائشة تقول: وعليكم السلام ولعنة الله، فقال لها النبي ﷺ: «أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ، رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ»[7]، وهذا يجرنا إلى هؤلاء الذين يتجرؤون على النبي ﷺ، ويتكلمون فيه وحق لكل مسلم أن يغضب لكن الرد لا يكون بالسباب والشتم، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد كفى نبيه المستهزئين، وأهل العلم ينصرون رسولهم ﷺ، وما زاد ﷺ إلا رفعةً.

إذًا موضوعنا في أن علامة صلاح قلب العبد في لسانه، وسأذكر لكم قصة في هذا الموضوع، روى أبو داود في «سننه»[8] عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ -أصدقاء-، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ -تأملوا أصدقاء أحدهما يقع في الذنوب والمعاصي، والآخر مجتهد في العبادة-، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، دائمًا يقول له: اترك هذه الذنوب- فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ-اترك هذه الذنوب-، فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ -اتركني، وهذه يقولها بعض الناس، اتركنا خلنا

(٥) رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤).
(٦) رواه الترمذي (١٩٧٧)، وصححه الألباني.
(٧) رواه البخاري (٦٤٠١)، ومسلم (٢١٦٦).
(٨) رقم (٤٩٠١)، وصححه الألباني.

أنت مسؤول عني، أنت لست بمبعوث علي رقيبا- فَقَالَ- الرجل المجتهد في العبادة كلمة-: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ، فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَقَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا، أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟-من باب التأنيب- وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ»، تكلم هذا الرجل بكلمة كانت هلاكه في الدنيا والآخرة، مع أنه مجتهدٌ وعلى طاعة، لكن انظر إلى المآل، انظر إلى الخاتمة، بسبب تلك الكلمة عندما تألّى على الله، وقال: «وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ»، وهذه من الكلمات الخطيرة جدا فعقيدة أهل السنة والجماعة أنهم لا يحكمون على الناس بعدم دخولهم الجنة، لا يحكمون على المسلمين وعلى المؤمنين بالنار والتكفير وعدم الغفران، لأنهم يعلمون ويعملون بقول النبي «أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا»[9].

● **فمن فوائد هذه القصة:**

أولًا: خطورة الكلمة، وقد جاء في الحديث: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ»[10]، إذًا الواحد ينتبه ممّا يقوله، جاء في بعض الروايات: «وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا،

(٩) رواه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠).
(١٠) رواه الترمذي (٢٣١٩)، وابن ماجه (٣٩٦٩)، وصححه الألباني.

يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»[11]، إذا الإنسان يحافظ على لسانه حتى لا يهلكه.

ثانيًا: أن الإنسان يحذر من العجب حتى ولو كان على طاعة، بل أحيانًا يدخل على المطيع داء العجب أكثر عن غيره، يدخل الشيطان عليه العجب من باب الطاعة، فيرى نفسه أخير وأفضل من الناس، وأنه على طاعة، فينظر إلى نفسه دون منّة الله عليه، وقد قال ﷺ: «ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ»[12].

والعُجْبَ فاحْذَرْه إنَّ العُجْبَ مُجْتَرِفُ
أعْمالَ صاحِبِهِ في سَيْلِهِ العَرِمِ
لا تُعْجَبَنَّ بِهِ يُحبَطْ ولا
تَرَهُ في جانبِ الذنْبِ والتقْصِيرِ والنِّعَمِ

ثالثًا: أن يحذر الإنسان من التعبد دون التفقه، الإنسان لابد أن يجمع بين أمرين: بين العبادة والعلم فالعبادة مبناها على علم، إن بنيت العبادة على جهل قد تضر بصاحبها، يقول الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «طَلَبْنَا هَذَا الْأَمْرَ وَنَظَرْنَا فَلَمْ نَجِدْ أَحَدًا عَمِلَ عَمَلًا بِغَيْرِ عِلْمٍ إِلَّا كَانَ مَا يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ»[13]، الذي يدخل في جانب الاجتهاد في العبادة دون علم يكون إفساده أكثر من إصلاحه، وهنا خطر آخر يظن أنه على صلاح وهو يفسد، فمهما يقع في الإفساد والخطأ والضرر لكنه لا يرى ذلك إفسادًا بل يراه إصلاحا.

رابعًا: أن الإنسان ينصح الناس برفق وأسلوب جميل حتى لو كان صاحبي مخطئًا أو وقع في شيء من الذنوب والمعاصي،

(١١) رواه البخاري (٦٤٧٨).
(١٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٥٤٥٢)، وصححه الألباني في صَحِيح الْجَامِع (٣٠٣٩).
(١٣) رواه الإمام أحمد في الزهد (ص ٢٣٤).

فليكن نصحًا برفق

تعمدني بنصـحك بانفرادي

وجنبني النصيحة في الجماعة.

الرفق ما دخل في شيء إلا زانه، ثم لا تنتظر من المنصوح القبول، أي ليس من شرط النصيحة أن يقبل الطرف الآخر، يظن بعض الناس أنه لابد إن نصح أن يلتزم الطرف الآخرنصيحته، الطرف الآخر يجب عليه أن يلتزم الحق، لكن الهداية بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالمسلم عليه هداية الدلالة والإرشاد، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يوفق ويهدي ذلك المنصوح؛ لأن بعض الناس كما حدث في القصة ينصح زميله، أو ينصح زوجته أو زوجته تنصحه، فيقول: هذا ما ينفع، ليس فيه خير، وهذا مهما ننصحه لا يتقبل، استمر، خصوصًا مع كان قريبًا منك، من أهلك وإخوانك وزوجتك وأبنائك، استمر على هذه النصيحة بلطف، وأسلوب جميل، ورفق وعلم.

خامسًا: رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإن ذلك المذنب مع ما عليه من ذنوب لكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ غفر له ورحمه، وفي المقابل عدم الاغترار بالطاعة، وأن الأعمال سبب لدخول الجنة، لا يظن الإنسان أنه لو عمل لكان واجبًا عليه أن يدخل الجنة مهما أدى الإنسان من طاعاتٍ، لا يؤدي حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لذلك دخول الجنة برحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذه الأعمال ليست ثمنًا في مقابل دخول الجنة، وإنما هي سببٌ، فمن أدى السبب رجا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وطمع فيما عنده حتى يدخله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الجنة.

سادسًا: كما قال ﷺ: «**الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ**»[١٤]، والأعمال بالخواتيم، يخاف

(١٤) رواه البخاري (٦٤٨٨).

الإنسان على نفسه الخاتمة، «**إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيُدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا**»[١٥]، إذا الأعمال بالخواتيم، ويحرص الإنسان على أن يكون مجتهدًا في طاعة الله؛ لأنه لا يعلم متى يأتي الموت فإنه يأتي بغتة، ويأتي فجأة فلا يعرف الإنسان على ماذا يموت.

سابعًا: وهي من عقائد أهل السنة والجماعة، أن الله يكلم عباده في الدار الآخرة، وقد كلّم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ موسى وكلم النبي ﷺ، وكلم آدم، وكلم الملائكة، يكلمهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بصوتٍ يسمعونه، وهو من أعظم وألذ الأشياء في الجنة رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وسماع كلامه.

ثامنًا: أن الإنسان مهما كان على الذنب فإنه تحت مغفرة الله، وتحت مشيئة الله، إن شاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عذبه، وإن شاء غفر له، ولو دخل النار بمعاصيه وذنوبه، فإنه لابد أن يخرج منها، فإنه ليس مخلدا في هذه النار إلا الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]

(١٥) رواه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

ختامًا: على الإنسان أن يحافظ على لسانه، لا يجعل الغيبة فاكهة المجالس، ولا يقلب النميمة نصيحة، ولا يتفكَّه بأعراض المسلمين، ولا يستهزأ بالدين، ولا يقول على الله بغير علم، ولا يرمي المسلمين بالكلام الذي لا يليق بهم، فلنحذر من آفات اللسان، فعلى الإنسان أن يحفظ لسانه من كل ما يشينه، ومن كل ما فيه ضرر على المسلمين.

وأسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يحفظني وإياكم، وأن يمن علينا بسلامة القلب، واستقامة اللسان، وأسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يحفظنا ويحفظ بلادنا، ويحفظ جميع بلاد المسلمين، وأن يوفق ولاة أمرنا لكل خير، وأن يحفظ الشيخ خليفة بن زايد وحكام دولة الإمارات، ويوفقهم لكل خير.

وصلى الله على نبينا م حمّد.

سلسلة مطويات شبكة بينونة

حصائد الألسنة

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE

الشيخ
د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي